من دعاء النبي ﷺ لأسماء

أخبرنا أبو عبد اللَّه الفراوي أنبأنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو عبد اللَّه الحافظ، وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا: نا أبو العباس بن محمد، نا قيس بن حفص الدارمي، نا بشر بن المفضل، نا كثير أبو الفضل، حدثني رجل من قريش من آل الزبير:

«أن أسماء بنت أبي بكر أصابها ورم في رأسها ووجهها، وأنها بعثت إلى عائشة بنت أبي بكر: اذكري وَجَعي لرسول الله ﷺ، لعل ذلك يشفيني. فذكرت عائشة لرسول الله ﷺ وجع أسماء، فانطَلَقَ رسول الله ﷺ حتى دخل على أسماء، فوضع يده على وجهها ورأسها من فوق الثياب فقال:

«بسم الله، أذهب عنها سُوءَهُ وفُحْشَه بدعوةِ نبيِّكَ الطيِّب المبارك المكينِ عندك. بسم الله..»

صنع ذلك ثلاث مرات، فأمرها أن تقول ذلك. فقالت ثلاثة أيام، فذهب الورم».

قال كثير: يصنع ذلك عند حضور الصلوات المكتوبات ـ يقولها وتراً ثلاثاً[1].

وعن ابن أبي مليكة أن أسماء بنت أبي بكر الصّدِّيق كانت تُصدّع، فتضع يدها على رأسها وتقول: بذنبي، وما يغفره الله أكثر.

---

(١) تاريخ ابن عساكر (تراجم النساء) ١٥، و«مختصر تاريخ دمشق» ٥/ ١٣٩ ـ ١٤٠.

من بركة رسول الله ﷺ

أخرج الإمام أحمد عدداً من الأحاديث التي روتها أسماء عن جُبَّةٍ لرسول الله ﷺ كانت تحتفظ بها وتستشفي بها:

حدثنا عبد اللَّه، حدَّثني أبي[1] حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الملك قال: حدثنا عبد اللَّه مولى أسماء عن أسماء قال:

«أخرجتْ إليَّ جُبَّةً طَيالِسَةً[2] عليها لِبْنَةٌ[3] شبرٌ من ديباجٍ كسروانيٍّ[4] وفَرْجاها مكفوفانِ به، قالتْ: هذه جُبَّةُ رسول الله ﷺ كان يلبسُها، كانتْ عندَ عائشة، فلما قُبِضَتْ عائشةُ قبضْتُها إليَّ، فنحنُ نغسِلُها للمريضِ منَّا يستشفي بها».

وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه في «لبس الحرير والديباج في الحرب».

* * *

وحدثنا عبد اللَّه، حدثني أبي، حدثنا يزيد بن هارون عن حجاج عن أبي عمر مولى أسماء قال:

---

(١) عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن...

(٢) أي جبة سوداء وهي كلمة أعجمية.

(٣) لِبْنَةُ القميص: بنيقته أو جُرُبَّانَهُ أو جيبه، أو هي رقعة في جيب القميص والله أعلم.

(٤) الديباج: كلمة مُعَرَّبةٌ وهو القماش المنقوش، والكَسرواني نسبة إلى كسرى.

«أخرجتْ إلينا أسماءُ جبةً مَزْرُورَةً بالديباجِ، فقالتْ: في هذه كان يَلْقَى رسولُ الله ﷺ العدوَّ».

حدثنا عبد اللَّه، حدثني أبي، حدثنا هشيمُ، حدَّثنا عبدُ الملكِ عن عطاءٍ عن مولى لأسماء بنت أبي بكر عن أسماء بنت أبي بكر قالت:

«كانَ لرسولِ الله ﷺ جُبَّةٌ من طيالسةٍ لِبْنَتُها ديباجٌ كَسْرواني».

وأخرج الحديثَ السابق من طريق آخر أيضاً.

وحدثنا عبد اللَّه، حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثنا مغيرةُ بن زياد عن أبي عمر مولى أسماء قال: قالت أسماء:

«يا جاريةُ، ناوليني جُبَّةَ رسول الله ﷺ، قال: فأخرجتْ جبةً من طيالسة».

وعن عبد الرحمٰن عن حماد بن سلم عن حجاج عن أبي عمر مولى أسماء عن أسماء: «أنَّ النبي ﷺ كانتْ له جُبَّةٌ من طيالسة مكفوفةٌ بالديباجِ يَلْقَى فيها العدوَّ».

وفي رواية أخرى من طريق نصر بن باب عن حجاج عن أبي عمر ختن كان لعطاء قال: أخرجت أسماء جُبّة مزرورة بديباج. قالت: قد كان رسول الله ﷺ إذا لَقِيَ الحربَ لَبِسَ هذه».

* * *

هذه الأحاديث تدل على حرص أسماء ـ كما كان حرص الصّحابة جميعاً رضوان الله عليهم ـ على الاحتفاظ بأثرٍ من آثار رسول الله ﷺ للتبرُّك به، والاستشفاء به كما قالت أسماء. وكما

يقول القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي في كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ومن إعظامه وإكباره ـ أي رسول الله ﷺ ـ إعظام جميع أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة، ومعاهده وما لمسه ﷺ أو عرف به. عن صفية بنت نجدة[1] قالت: كان لأبي محذورة قُصَّةٌ في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض، فقيل له: ألا تحلقها؟ فقال: لم أكن بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله ﷺ بيده.

وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد[2] شعرات من شعر رسول الله ﷺ فسقطت قلنسوته في بعض حروبه[3] فشدَّ عليها شدة أنكر عليه أصحابُ النبي ﷺ كثرة ما قُتِل فيها. فقال: لم أفعَلْها بسببِ القُلنسوة، بل لما تضمَّنَته من شعرِهِ ﷺ لئلا أُسْلَبَ بركتَها وتقع في أيدي المشركين.

ورؤيَ ابنُ عمر واضعاً يده على مقعد النبي ﷺ[4] من المنبر ثم وضعها على وجهه.

ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دآبّةً وكان يقول: استحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة.

وقد أفتى مالك فيمن قال: تربة المدينة رديئة... يضرب ثلاثين درة، وأمر بحبسه.

---

(١) صفية بنت نجدة: زوجة أبي محذورة، وقد روى عنها أيوب بن ثابت، وروت هي عن زوجها أبي محذورة، واختُلف في اسم أبيها، قيل: نجدة، وقيل: نجراة، وقيل: الصواب بجرة.

(٢) القلنسوة: ما يوضع على الرأس تحت العَمامة.

(٣) قيل: في حرب اليمامة، وروى ذلك أبو يعلى.

(٤) أي مكان قعوده، وروى ذلك ابن سعد.

وكان له قَدْرٌ وقال: ما أحوجه إلى ضرب عنقه... تربة دفن فيها رسول الله ﷺ يزعم أنها غير طيِّبة[1].

وحكي أن جهجاهاً[2] الغفاري أخذ قضيبَ النبي ﷺ من يد عثمان[3] رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته، فصاح به الناس، فأخذته الأكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحولِ[4].

وقد عقد صاحبُ «الشفا» فصلاً عن «كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره ﷺ»[5].

* * *

وجاء في مناقب الإمام أحمد بن جنبل لابن الجوزي فيما رواه إسماعيل بن أحمد ومحمد بن أبي القاسم قالا: أخبرنا أحمد بن أحمد بن عبد اللَّه قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر قال: حدثنا عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل قال:

---

(١) ولا يعني هذا جواز التبرك بتربة المدينة، وإنما هو الحب والأدب مع رسول الله ﷺ.

(٢) روى ذلك ابن عبد البر، وجَهْجاه: هو سعدُ بن حرام. وقال الطبري: الصواب جهجا بلا «هاء». وقال الذهبي: هو جهجاه بن قيس. وقيل: ابن سعيد، وهو مدني صحابي شهد بيعة الرضوان وبعض الغزوات، ومات بعد عثمان بسنة.

(٣) كان ذلك في الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان رضي الله عنه، وحدث ذلك عندما كان عثمان على المنبر، فلما نزل تقدم جهجاه وأخذ القضيب.

(٤) هذه النقول من كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، الجزء الثاني، ص ١٢٦ وما بعدها، بتحقيق محمد أمين قرة علي وإخوانه. ومن منشورات مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن بدمشق.

(٥) الجزء الأول، ص ٦٣٦ من المصدر السابق.

«رأيت أبي يأخذ شعرةً من شعر النبي ﷺ فيضَعُها في فيه ويقبِّلُها وأحسب أني رأيته يضعها على عينيه، ويغمسها في الماء، ثم يشربه يستشفي به. ورأيته قد أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في جب الماء ثم شرب فيها، ورأيته غير مرة يشرب ماء زمزم يستشفي به ويمسح به بدنه ووجهه.

ويُذكر عن كثير من الصحابة والتابعين احتفاظُهم بأشياء من رسول الله ﷺ للتبرُّك بها.

* * *

وأخرج البيهقي في كتاب «الصلاة»، باب: «العَلَمُ في الحرير».

أنبأ محمد بن عبد اللَّه الحافظ، أنبأ أبو عبد اللَّه بن يعقوب، حدثنا جعفر بن محمد، حدثنا يحيى بن يحيى، أنبأنا خالد بن عبد اللَّه عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عبد اللَّه مولى أسماء بنت أبي بكر، وكان خالد ولد عطاء قال: أرسلَتْني أسماءُ إلى عبد اللَّه بن عمر فقالت:

«بَلَغني أنك تُحرِّمُ ثلاثةَ أشياء: العَلَمَ في الثوب، ومِيثَرَةَ الأُرْجُوان[1] وصومَ رَجَبَ كلَّه؟

---

(١) هو صبغ أحمر شديد الحمرة، هكذا قاله أبو عبيد والجمهور. وقال الجوهري: هو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون، قال: وهو معرَّب. وقال آخرون: هو عربي. والمِثْرة: وِطاء كانت النساءُ يَضَعْنَهُ لأزواجهن على السُّروج وكان مِنْ مراكب العجم، ويكون من الحرير ويكون من الصوف وغيره. وقيل: أغشيةٌ للسروج تُتَّخذ من الحرير. وقيل: هي سروج من الديباج. وقيل: هي شيء كالفراش الصغير تتخذ من حرير تُحْشى بقطنٍ أو صوفٍ يجعلُها الراكبُ على البعير تحتَه.

فقال لي عبد اللَّه: أما ما ذكرتِ من رَجب، فكيف بمنْ يصومُ الأبَد؟

وأما ما ذكرتِ من العَلَمِ في الثَّوبِ فإني سمعتُ عمرَ بنَ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّما يلبَسُ الحريرَ مَنْ لا خلاقَ له في الآخرةِ**» فخِفْتُ أنْ يكونَ العَلَمُ منه.

وأما مِيثَرَةُ الُأرْجُوانِ، فهذه ميثرَةُ عبد اللَّه، فإذا هيَ أُرْجوان.

فرجعْتُ إلى أسماءَ فخبَّرْتُها، فقالت: هذه جبَّةُ رسول الله ﷺ، فأخرجت إليَّ جبَّة طيالسةً كسروانيَّة لها لِبْنَةُ ديباجٍ، وفَرْجَيْها مكفوفين[1] بالديباج.

فقالت: هذه كانتْ عند عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ حتى قُبِضَتْ، فلما قُبِضَتْ قَبَضْتُها.

وكان النبيُّ ﷺ يَلْبسُها فنحن نَغْسِلُها للمرضى نستشفي بها.

أخرجه مسلم في كتاب «اللباس والزينة»، باب: «تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجال وإباحته للنساء، وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع».

وأخرجه أبو داود في «اللباس»، وأخرجه النسائي في «الزينة» في «السنن الكبرى»، وأخرجه ابن ماجه في «اللباس» وفي «الجهاد»[2].

* * *

---

(١) هكذا وقع في جميع النسخ: وفرجيها مكفوفين، ومعنى المكفوف أنه جعل له كُفَّة، بضم الكاف، وهي ما يُكفّ به جوانبها ويعطف عليها، ويكون ذلك في الذيل وفي الفرجين وفي الكمّين.

(٢) «تحفة الأشراف» ١١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦، رقم الحديث (١٥٧٢١).

وهذا الحديث يوضح أمراً هاماً، فجواب ابن عمر من صوم رجب إنكار منه لما بلغها عنه من تحريمه، وإخبار بأنه يصوم رجباً كله، وأنه يصوم الأبد، والمراد بالأبد ما سوى أيام العيدين والتشريق وهذا مذهبه ومذهب أبيه عمر بن الخطاب وعائشة وأبي طلحة وغيرهم من سلف الأمة، ومذهب الشافعي وغيره من العلماء أنه لا يُكرَهُ صومُ الدهر.

وأما ما ذكرت عنه من كراهة العَلَم، فلم يعترفْ بأنَّه كان يُحرِّمُه بل أخبرَ أنه تورَّعَ عنه خوفاً من دخوله في عموم النهي عن الحرير، وأما المِئْرةُ فأنكر ما بلغها عنه فيها، وقال: هذه مئثرتي وهي أرجوان، والمراد أنها حمراء وليست من حرير بل من صوف أو غيره، وربما تكون من حرير أو من صوف. والأحاديث الواردة في النهي عنها مخصوصة بالتي هي من الحرير.

وأما إخراج أسماء جبة النبي ﷺ المكفوفة بالحرير فقصدت بيان أن هذا ليس محرماً، وهكذا الحكم عند الشافعي وغيره أن الثوب والجبة والعمامة ونحوها إذا كان مكفوف الطرف بالحرير جاز ما لم يزد على أربع أصابع فإن زاد فهو حرام لحديث عمر رضي الله عنه في هذا الشأن.

وقوله: كسروانية، نسبة إلى كسرى صاحب العراق ملك الفرس (وفيه كسر الكاف وفتحها).

وفيه أن النهي عن الحرير المراد به الثوب المتمحض من الحرير أو ما أكثره حرير، وأنه ليس المراد تحريم كل جزء منه، بخلاف الخمر والذهب فإنه يحرم كل جزء منهما.

وأما الجبة أن لها لِبْنة ـ بكسر اللام وإسكان الياء ـ وهي رقعة في جيب القميص. أما قولها: «وفرجيها مكفوفين» وهما منصوبان بفعل محذوف، أي: ورأيت فرجيها مكفوفين. ومعنى المكفوف أنه جعل لها كُفَّة وهو ما يكفّ به جوانبها ويعطف عليها، ويكون ذلك في الذيل وفي الفرجين وفي الكمين.

وفي هذا جواز لباس الجبة، ولباس ما له فرجان، وأنه لا كراهة فيه والله أعلم[1].

* * *

وأخرج الحديث السابق من وجه آخر من طريق محمد بن الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل الصَّيْرفي قالا: حدثنا العباس محمدُ بنُ يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا عبد الملك عن عطاء في العَلَم في الثوب فأراد أن يفتتح حديثاً، ثم قال: أخبرني هذا الرجل من القوم اسمه عبد اللَّه مولى أسماء بنت أبي بكر، فقال له عطاء: حدِّثْ، فحدَّث بين يدي عطاء وذكر الحديث السابق[2].

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم، ج ١٤، ص ٤٢ وما بعدها.

(٢) سنن البيهقي، كتاب «صلاة الخوف»، باب: «الرخصة في العلم وما يكون في نسجه قز وقطن أو كتان وكان القطن غالباً».

obeikandl.com

في عذاب القبر

أخرج البخاريُّ ـ رحمه الله ـ في كتاب «الجنائز»، باب: «ما جاء في عذاب القبر» هذا الحديث:

حدثنا يحيى بنُ سليمان، حدثنا ابنُ وهب قال: أخبرني يونسُ عن ابن شهاب أخبرني عروةُ بن الزبير أنه سمع أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ تقولُ: «قامَ رسولُ الله ﷺ خطيباً فذكرَ فتنةَ القبرِ التي يُفْتَتَنُ فيها المرءُ، فلما ذكرَ ذلك ضَجَّ المسلمونَ ضجّةً».

وأخرجه النسائي في كتاب «الجنائز»، باب: «التعوذ من عذاب القبر» وروايته كما يلي:

أخبرنا سليمان بن داود عن ابن وهب قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع أسماء بنت أبي بكر تقول:

«قامَ رسولُ الله ﷺ فذكرَ الفتنةَ التي يُفْتَتَنُ بها المرءُ في قبرِهِ، فلما ذكرَ ذلك ضَجَّ المسلمون ضجّةً حالَتْ بيني وبينَ أنْ أفْهَمَ كلامَ رسولِ الله ﷺ، فلمَّا سَكَنَتْ ضَجَّتُهم قلتُ لرجلٍ قريبٍ مني: أيْ باركَ الله لكَ، ماذا قالَ رسول الله ﷺ في آخر قوله؟ قال: «**قدْ أُوحِيَ إليَّ أنَّكم تُفْتَنُون في القبورِ قريباً من فتنةِ الدجَّالِ**».

وورد هذا الحديث عن البخاري في كتاب «العلم والكسوف» من طريق فاطمة بنت المنذر عن أسماء بتمامه وسيرد إن شاء الله.

وورد كذلك في كتاب «الجمعة» من طريق فاطمة أيضاً، وفيه أنه: «لمَّا قالَ: «أمَّا بعد»، لَغَطَ نِسوةٌ من الأنصار، وأنَّها ذهبَتْ لتُسكِتُهُنَّ فاستفهمتْ من عائشةَ عمَّا قالَ» وسيرد إن شاء الله.

وأخرج الإمام أحمد عدة أحاديث في عذاب القبر مما روته أسماء، ولكن بعضها يتعلق بالكسوف، وسترد إن شاء الله هناك.

وأخرج عن عذاب القبر هذا الحديث:

حدثنا عبد اللَّه، حدثني أبي، ثنا حجين بن المثنى قال: حدثنا عبد العزيز ـ يعني ابن أبي سلمة ـ الماجشون عن محمد ـ يعني ابن المنكدر ـ قال: «كانتْ أسماءُ تُحَدِّثُ عن النبيِّ ﷺ قالتْ: قالَ:

«إذا دَخَلَ الإنسانُ قبرَهُ، فإنْ كانَ مُؤْمناً أَحَفَّ بِهِ عملُهُ: الصلاةُ والصيامُ»، قال: **«فيأتيه المَلَكُ من نحوِ الصلاةِ فتردُّهُ، ومن نحوِ الصيامِ فيردُّه»**، قال: **«فيناديه: اجلسْ»**، قالَ: **«فيجلسُ. فيقولُ له: ماذا تَقولُ في هذا الرجل؟»** ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ **«قالَ: مَنْ؟ قالَ: محمدٌ، قالَ: أنا أشهدُ أنَّهُ رسولُ الله»**. قال: **«يقولُ: على ذلكَ عشتَ وعليه مُتَّ وعليه تُبْعَثُ. قالَ: وإنْ كان فاجراً أو كافراً؟ قالَ: جاءَ المَلَكُ وليسَ بينَهُ وبينه شيءٌ يَرُدُّهُ، قالَ: فأَجْلَسَهُ»**، قالَ: **«يقولُ: اجلسْ، ماذا تقولُ في هذا الرجلِ؟ قالَ: أيُّ رجلٍ؟ قالَ: محمدٌ»**. قالَ: **«يقولُ: والله ما أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلتُهُ»**، قالَ: **«فيقولُ له المَلَكُ: على ذلك عشتَ وعليه مُتَّ وعليه تُبْعَثُ»**، قالَ: **«وتُسَلَّطُ عليهِ دابَّةٌ في قبرِهِ معها سَوْطٌ ثمرتُهُ جمرةٌ مثلُ غربِ البعير تَضْرِبُهُ ما شاءَ الله، صمَّاءُ لا تسمعُ صوتَه فترْحَمَهُ»**.

* * *

في الحديث السابق إثبات لوجود العذاب في القبر، وهذا مذهب أهل السنَّة وغيرهم، ولقد ذكر البخاري ـ رحمه الله ـ في عنوان الباب قوله: «باب ما جاء في عذاب القبر»، وقوله تعالى: **﴿إذِ الظالمونَ في غمراتِ الموتِ والملائكةُ باسطوا أيديهم أَخْرِجوا أنفسَكُم اليومَ تُجْزَوْنَ عذاب الهونِ﴾**[1].

وقوله تعالى: **﴿وحاق بآل فرعونَ سوءُ العذابِ، النارُ يُعرضون عليها غدوًّا وعَشِيًّا ويومَ تقومُ الساعةُ، أَدْخِلوا آل فِرْعَونَ أشدَّ العذاب﴾**[2].

وقوله تعالى: **﴿سَنُعَذِّبُهُم مَرَّتين ثم يُرَدُّونَ إلى عذابٍ عظيمٍ﴾**[3].

وهذه الآيات توحي بالعذاب في القبر قبل العذاب الذي يَعقُبُ الحساب، وهناك أحاديثُ أخرى كثيرةٌ وصحيحةٌ تثبت عذاب القبر.

ومنها حديث لأسماء ورد في كتاب «العلم والطهارة» وغيرهما وفيه: «فأما المؤمن أو الموقن فيقول: محمد رسول الله، جاءنا بالبيِّنات والهدى، فأجبنا وآمنَّا واتَّبعنا، فيقال له: نَمْ صالحاً».

ويقول ابن حجر عن أحاديث الباب ما يلي:

«وفي أحاديث الباب من الفوائد: إثبات عذاب القبر وأنه واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين. والمساءلة، وهل هي واقعة

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٣.
(٢) سورة غافر، الآية ٤٥.
(٣) سورة التوبة، الآية ١٠١.

على كل واحد؟ تقدم تقرير ذلك. وهل تختص بهذه الأمة أم وقعت على الأمم قبلها؟ ظاهر الأحاديث الأول، وبه جزم الحكيم الترمذي وقال: كانت الأمم قبل هذه الأمة تأتيهم الرسل، فإن أطاعوا فذاك، وإن أبوا اعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب، فلما أرسل الله محمداً رحمة للعالمين أمسك عنهم العذاب وقبل الإسلام ممن أظهره، سواء أسرَّ الكفر أو لا، فلما ماتوا قيَّض الله لهم فاتن القبر ليستخرج سرَّهم بالسؤال، وليميز الله الخبيث من الطيب، ويثبِّتُ الله الذين آمنوا، ويضلُّ الله الظالمين. انتهى كلام الترمذي.

ويقول ابن حجر أيضاً: ويؤيدُهُ حديث ابن ثابت مرفوعاً: «**إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها**» أخرجه مسلم، ومثله عند أحمد.

ويؤيده أيضاً قول الملكين: «**ما تقول في هذا الرجل محمد؟**».

وحديث عائشة عند أحمد أيضاً بلفظ: «**وأما فتنة القبر فبي تُفتنون، وعني تُسألون**» وجنح ابن القيم إلى الثاني ـ أي أن الفتنة لكل الأمم، وقال: ليس في الأحاديث ما ينفي المسألة عمن تقدم من الأمم، وإنما أخبر النبي ﷺ أمته بكيفية امتحانهم في القبور، لا أنه نفى ذلك عن غيرهم.

قال: والذي يظهر أنَّ كل نبيٍّ مع أمته كذلك، فتعذب كفارهم في قبورهم بعد سؤالهم، وإقامة الحجَّة عليهم كما يُعذَّبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجَّة.

وفيه ـ أي الباب ـ من الفوائد: ذم التقليد في الاعتقادات، لمعاقبة من قال: كنت أسمع الناس يقولون شيئاً فقلته.

وفيه: أن الميت يحيا في قبره للمسألة، خلافاً لمن رده.

فيا ويلنا من عذاب القبر، ويا ويلنا من عذاب النار، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، ونعوذ بك من عذاب النار.

والمسلم الذي يوقن يوم الحساب لا ينسى أبداً ذلك الموقف الرهيب، وإذا كنا ننسى، فإن الموت يخترم كل يوم أنفساً، والقبر دار تأوي كل يوم أمماً، فكيف ننسى هذا اليوم والحساب آت.

والمؤمن الذي يخاف الله يدَّخِرُ لآخرته، ويستعدُّ لقبره، ولا ينسى ذلك الموقف. بل إن المؤمن الموقن لا ينسى ذلك أبداً، ويضل هذا اليقين يرشده إلى الصّلاح والتقوى والخوف من العذاب.

هكذا كان الأنبياء والصّالحون، وهكذا كان الصّحابة، فهل نسير على دربهم قبل أن تبتلعنا القبور وتستلمنا الوحوش؟ اللهم إنا نعوذ بك من ذلك.

ولنذكر أن رسول الله ﷺ كان يدعو ويقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجَّال**»[1]. وهذا التذكُّر وهذا الدعاء سبيل التربية الإيمانية الصحيحة لأن الإنسان الذي غابت من ذاكرته مشاهد الآخرة، ونسي يوم القبر ويوم الحساب يصبح أدنى من الوحوش الضارية، همُّه المنفعة والكسب، وامتلاك شيء من الأشياء، مهما اقترف في سبيل ذلك من آثام ومظالم.

وها هي المدنية المعاصرة تطلق العنان للإنسان الآلة الذي ماتت في قلبه الرحمة، فصار يستلذّ بعذاب الآخرين، ويجرِّب

---

(١) أخرجه البخاري.

مخترعاته بصهر الآدميين، وحرق ديارهم، وقتل كل الأحياء.

المعيار لدى هذه الحضارة مؤشرات النمو وزيادة الإنتاج ونسبة ارتفاع الدخل والربح، ولا قيمة للإنسان أو عذابه. وهكذا يعيش حفنة شيطانية تتلاعب بمصائر الشعوب على حساب بني البشر، يملكون كل شيء، ويمنعون الآخرين الحصول على قوتهم. والدنيا أضحت غابة للصراع الضاري بين مخلوقات لا قلوب لها. اللهم إنا نعوذ بك من فتنة المحيا والممات.

obeikandl.com

في الكسوف

أخرج البخاريُّ في كتاب «الكسوف»، باب: «صلاة النساء مع الرجال في الكسوف»: حدثنا عبد اللَّه بنُ يوسفَ قالَ: أخبرنا مالكٌ عن هشام بن عروة عن امرأته فاطمة بنتِ المنذر عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّها قالت:

«أتيتُ عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ زوج النبيِّ ﷺ حينَ خَسَفَتِ الشمسُ، فإذا الناسُ قيامٌ يُصَلُّونَ، وإذا هيَ قائمةٌ تُصلِّي، فقلتُ: ما للنَّاسِ؟ فأشارَتْ بيدِها إلى السماءِ، وقالتْ: سبحان الله، فقلتُ: آيةٌ؟ فأشارتْ: أيْ نَعَمْ، قالتْ: فقُمْتُ حتى تَجلاَّني الغَشْيُ[1]، فجعلتُ أصبُّ فوقَ رأسي الماءَ، فلما انصرفَ رسولُ الله ﷺ حَمِدَ الله وأثنى عليه ثمَّ قال:

«ما مِنْ شيءٍ كنتُ لَمْ أَرَهُ إلاَّ قَدْ رأيتُهُ في مَقامي هذا حتى الجنَّةَ والنارَ، ولَقَدْ أُوحِيَ إليَّ أنَّكُمْ تُفْتَنُونَ في القبورِ مثلَ، أَوْ قريباً مِنْ فتنةِ الدجَّالِ» (لا أدري أيَّتَهما قالتْ أسماء) **«يُؤْتَى أحدُكم فيُقالُ له: ما علمُكَ بهذا الرَّجلِ؟ فأمَّا المؤمنُ، أوِ الموقنُ»** (لا أدري أيَّ

---

(١) تجلاَّني الغَشْيُ: وروي أيضاً الغَشِي، وهو بمعنى الغشاوة، وهو معروف يحصل بطول القيام في الحر، وفي غير ذلك من الأحوال، أي علاني مرض قريب من الإغماء لطول تعب الوقوف.

ذلك قالتْ أسماءُ) «فيقولُ: محمدٌ رسولُ الله ﷺ جاءَنا بالبيِّناتِ والهُدَى، فأجَبْنا وآمنَّا واتَّبَعْنا، فيُقالُ لَهُ: نَمْ صالحاً، فَقَدْ عَلِمْنا إنْ كنتَ لَمُوقِناً، وأمَّا المنافق، أو المُرْتابُ» (لا أدري أيَّتَهما قالتْ أسماءُ) «فيقولُ: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقُلْتُهُ».

* * *

وأخرجه البخاري أيضاً في «الشرب» عن سعيد بن أبي مريم.

وأخرج مسلم أيضاً هذا الحديث مع بعض الاختلاف فقال:

حدثنا محمدُ بن العلاء الهمذاني، حدثنا ابن نمير، حدثنا هشام عن فاطمة عن أسماء قالت:

«خَسَفَتِ الشمسُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فدخلْتُ على عائشةَ وهي تُصَلِّي، فقلتُ: ما شأنُ الناسِ يُصَلُّونَ؟ فأشارَتْ برأسِها إلى السماءِ، فقلتُ: آيةٌ؟ قالتْ: نَعَمْ، فأطالَ رسولُ الله ﷺ القيام جداً حتى تَجلاَّني الغَشْيُ، فأخذتُ قِرْبَةً من ماءٍ إلى جَنْبي فجعلتُ أصبُّ على رأسي أو وجهي من الماءِ. قالتْ: فانصرفَ رسولُ الله ﷺ وقد تجلَّتِ الشمسُ، فخطب رسولُ الله ﷺ الناسَ، فحَمِدَ الله وأثنى عليه ثمَّ قال:

«أما بعدُ، ما مِنْ شيءٍ لَمْ أَكُنْ رأَيتُهُ إلاّ قد رأيتُهُ في مَقامي هذا، حتى الجنَّةَ والنارَ، وإنَّه قَدْ أُوحِيَ إليَّ أنَّكُمْ تُفْتَنُونَ في القبورِ قريباً، أو مثلَ، فتنةِ المسيحِ الدجَّالِ» (لا أدري أيَّ ذلك قالتْ أسماء) «فيُؤْتَى أحدُكم، فيُقالُ: ما علمُكَ بهذا الرَّجلِ؟ فأمَّا المؤمنُ، أوِ الموقنُ» (لا أدري أيَّ ذلك قالتْ أسماءُ) «فيقولُ: هُوَ محمدٌ رسولُ الله، جاءَنا بالبيِّناتِ والهُدَى، فأجَبْنا وأطَعْنا، ثلاثَ مِرارٍ،

فيُقالُ لَهُ: نَمْ قَدْ كُنَّا نعلَمُ إنَّك لَتُؤْمِنُ بِهِ، فَنَمْ صالحاً، وأمَّا المنافق، أو المُرْتابُ» (لا أدري أيَّ ذلك قالتْ أسماءُ) «فيقولُ: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقُلْتُ».

* * *

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو بكر قالا: حدثنا أبو أسامة عن هشام عن فاطمة عن أسماء قالت:

«أتيتُ عائشةَ فإذا الناسُ قيامٌ، وإذا هي تُصَلِّي، فقلتُ: ما شأنُ الناس...» واقتصَّ الحديثَ بنحو حديث ابن نمير عن هشام السابق (مسلم).

وأخرجه الإمام أحمد من طريق معاوية بن عمرو، عن زائدة عن هشام بن عروة عن فاطمة عن أسماء...

وأخرجه البيهقي في كتاب «صلاة الخسوف»، باب: «الخطبة بعد صلاة الخسوف».

وحدثنا يحيى بن حبيب الحارثي، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا ابن جريج، حدثني منصور بن عبد الرحمٰن عن أمه صفيةَ بنتِ شيبةَ عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت:

فَزِعَ[1] النبيُّ ﷺ يوماً (قالتْ: تعني يومَ كَسَفَتِ الشمسُ) فأخذَ دِرْعاً حتى أُدْرِكَ بردائِهِ[2]، فقامَ للناسِ قِياماً طويلاً، لو أنَّ إنساناً أتى

---

(١) الفزع: يحتمل أن يكون هو الخوف أو المبادرة إلى الشيء.

(٢) أي لشدة سرعته واهتمامه بذلك، أراد أن يأخذ رداءه فأخذ درع أهل البيت سهواً ولم يعلم ذلك لاشتغال قلبه بأمر الكسوف، فلما علم أهل البيت أنه ترك =

لمْ يشعر[1] أنَّ النبيَّ ﷺ رَكَعَ ما حَدَّثَ أنه ركَعَ من طولِ القيام.

وحدَّثني سعيد بن يحيى الأمويُّ، حدثني أبي، حدثنا ابن جريج بهذا الإسناد مِثْلَهُ، وقال: قياماً طويلاً يقومُ ثمَّ يركعُ، وزاد: فجعلتُ أنظرُ إلى المرأة أسنُّ مني وإلى الأخرى هي أسقم مني. (مسلم).

* * *

وأخرج الإمام أحمد مثلَه من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن أسماء.

وكذلك عن طريق روح عن ابن جريج عن منصور وعن عبد الرحمٰن عن أمه صفية بنتِ شيبةٍ عن أسماء وزاد فيه:

«فجعلْتُ أنظرُ إلى المرأةِ التي هيَ أكبرُ مني، وإلى المرأةِ التي هي أسقمُ مني قائمةً وأنا أحقُّ أنْ أصبرَ على طولِ القيامِ منها».

* * *

وحدثني أحمد بن سعيد الدارمي، حدثنا حبان، حدثنا وهيب، حدثنا منصور عن أمه عن أسماء بنت أبي بكر قالت:

«كَسَفَتِ الشمسُ على عهدِ النبيِّ ﷺ ففَزِعَ، فأخطأ بدِرْعٍ حتى أُدْرِكَ بردائِهِ بعدَ ذلكَ، قالتْ: فقضيْتُ حاجتي ثم جِئْتُ ودخلتُ المسجدَ فرأيتُ رسولَ الله ﷺ قائماً، فقُمْتُ معهُ، فأطالَ القيامَ حتى رأيتني أُريدُ أن أجلسَ ثم التفتُّ إلى المرأةِ الضعيفةِ فأقولُ: هذه

= رداءه لحقه به. والدرع: هو درع المرأة، وهو قميصها (مذكر).

(١) أي لم يَعلمْ.

أضعفُ منِّي، فأقومُ، فركَعَ فأطالَ الرُّكوعَ ثم رفعَ رأسَهُ فأطالَ القيامَ حتى لو أنَّ رجلًا جاءَ خُيِّلَ إليه أنَّهُ لم يركَعْ».

أخرج مسلم هذه الروايات المختلفة للحديث في كتاب «الكسوف»، باب: «ما عُرِضَ على النبيِّ ﷺ في صلاة الكسُوفِ من أمرِ الجنَّةِ والنَّارِ».

وأخرج هذا الحديث البيهقي في كتاب «صلاة الخسوف»، باب: «النساء يحضرن المسجد لصلاة الخسوف».

* * *

وأخرج البخاريُّ حديثاً آخر في باب «قول الإمام في خطبة الكسوف: أمَّا بعدُ».

وقال أبو أسامة: حدثنا هشامُ قال: أخبرتني فاطمة بنت المنذر عن أسماء قالت:

«فانصرفَ رسولُ الله ﷺ وقد تجلَّت الشمسُ فعمدَ فحَمِدَ الله بما هو أهلُهُ ثمَّ قالَ:

«أما بعدُ».

وأخرج أيضاً في باب «مَنْ أحبَّ العتاقةَ في كسوفِ الشمسِ» فقال: حدثنا ربيعُ بنُ يحيى قال: حدثنا زائدةُ عن هشامٍ عن فاطمةَ عن أسماء قالت:

«لقدْ أمرَ النبيُّ ﷺ بالعتاقةِ في كسوفِ الشمس».

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد من طريق هشام بن علي...

وأخرجه البيهقي من عدة روايات في كتاب «صلاة الخسوفِ»،

باب: «ما يُسْتَحَبُّ للإمام من حضِّ الناس على الخير...».

* * *

وأخرج النسائيُّ في كتاب «صلاة الكسوف»، باب: «التشهُّد والتسليم في صلاة الكسوف» هذا الحديث:

أخبرني إبراهيمُ بنُ يعقوب قال: حدثنا نافعُ بنُ عمر عن ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر قالت:

«صلَّى رسولُ الله ﷺ في الكسوفِ، فقامَ فأطالَ القيامَ، ثم ركَعَ فأطالَ الركوعَ، ثم رفعَ فأطالَ القيامَ، ثمَّ ركعَ فأطالَ الركوعَ، ثمَّ رفعَ ثمَّ سجدَ فأطالَ السجودَ، ثمَّ رفعَ ثمَّ سجدَ فأطالَ السجُودَ، ثمَّ قامَ فأطالَ القيامَ، ثمَّ ركعَ فأطالَ الركوعَ، ثم رفعَ فأطالَ القيامَ، ثمَّ ركعَ فأطالَ الركوعَ، ثمَّ رفعَ ثمَّ سجدَ فأطالَ السجودَ، ثمَّ رفعَ فأطالَ السجودَ، ثمَّ رفعَ ثمَّ انصرف».

* * *

وأخرج ابن ماجه الحديث السابق من طريق مُحْرِزِ بنِ سلمةَ العَدَنيِّ عن نافعِ بنِ عمرَ الجمحي عن ابن أبي مليكة عن أسماء، وزاد فيه:

فقالَ: «**لقدْ دَنَتْ منِّي الجنَّةُ حتى لو اجترأتُ عليها لجئتُكُمْ بقطافٍ من قِطافِها، ودَنَتْ منِّي النارُ حتى قلتُ: أيّ ربِّ، وأنا فيهم**».

قال نافع: حَسِبْتُ أنَّهُ قالَ: «ورأيتُ امرأةً تَخْدِشُها هرةٌ لها فقلتُ: ما شأنُ هذه؟ قالوا: حَبَسَتْها حتَّى ماتتْ جوعاً، لا هي

أطعمَتْها ولا هي أرسلَتْها تأكلُ من خشاشِ الأرضِ».

وأخرجه الإمام أحمد من طريق موسى بن داود عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة عن أسماء. وكذلك من طريق وكيع عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكةَ عن أسماء.

* * *

وأخرج الإمام مالك في باب «ما جاء في صلاة الكسوف» الحديث كما جاء في رواية مسلم.

وأخرج الإمام أحمد أكثر هذه الروايات من طرق مختلفة، مع بعض الزيادات كما أوضحت في مواضعها.

وأخرج أيضاً من طريق سريج بن النعمان قال:

حدثنا فليح عن محمد بن عباد بن عبد اللَّه الزبير عن أسماء بنت أبي بكر قالت:

«خَسَفَتِ الشمسُ على عهدِ رسول الله ﷺ فسمعتُ رَجَّةَ الناسِ وهم يقولونَ: آيةٌ! ونحنُ يومئذٍ في فازعٍ، فخرجْتُ مُتَلَفِّعَةً بقطيفةٍ للزبيرِ حتى دخلتُ على عائشةَ ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلِّي للناسِ، فقلتُ لعائشةَ: ما للناسِ؟ فأشارتْ بيدِها إلى السماءِ. قالتْ: فصلَّيْتُ معهم، وقد كانَ رسولُ الله ﷺ فَرَغَ من سجدتِهِ الأولى، قالتْ: فقامَ رسولُ الله ﷺ قياماً طويلًا، حتى رأيتُ بعضَ مَنْ يصلِّي فينتضحُ بالماءِ، ثم ركعَ ركوعاً طويلًا ثم قامَ ـ ولم يسجدْ ـ قياماً طويلًا وهو دونَ القيامِ الأول، ثمَّ ركعَ ركوعاً طويلًا وهو دون ركوعه الأول، ثمَّ سجدَ ثمَّ سلَّمَ، وقد تجلَّتِ الشمسُ، ثمَّ رَقِيَ المنبرَ فقالَ:

«أيُّها الناسُ، إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ الله، لا يُخْسَفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِهِ، فإذا رأيتُمْ ذلكَ فافزَعُوا إلى الصَّلاةِ، وإلى الصَّدقة، وإلى ذكر الله. أيُّها الناسُ، إنَّه لم يبقَ شيءٌ لم أكُنْ رأيتُهُ إلاَّ وقدْ رأيتُهُ في مَقامي هذا، وقد أُريتُكُم تُفتَنُون في قبورِكُم، يُسأَلُ أحدُكم: ما كنتَ تقولُ، وما كنتَ تعبدُ؟ فإنْ قالَ: لا أدري، رأيتُ الناسَ يقولونَ شيئاً فقُلْتُهُ، ويصنعونَ شيئاً فصنعْتُهُ، قيلَ لهُ: أَجَلْ، على الشَّكِّ عشتَ، وعليه مُتَّ، هذا مقعدُكَ منَ النارِ. وإنَّ قالَ: أشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمَّداً رسولُ الله، قيلَ: على اليقينِ عِشْتَ وعليهِ مُتَّ، هذا مقعدُكَ من الجنَّةِ. وقد رأيتُ خمسينَ أو سبعينَ ألفاً يدخلونَ الجنَّةَ في مِثْلِ صُورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ».

فقامَ إليه رجلٌ فقالَ: ادعُ الله أنْ يجعلني منهم، قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ منهم، أيُّها الناسُ، إنَّكم لنْ تسألوني عن شيءٍ حتى أُنْزِلَ إلاَّ أخبرتُكم به».

فقامَ رجلٌ فقالَ: مَنْ أبي؟ قالَ: «أبوكَ فلانٌ» الذي كان يُنْسَبُ إليه.

* * *

هذه مجموعة من روايات حديث الكسوف كما أخرجتها كتب الحديث عن أسماء، ولعلَّه أكثر الأحاديث التي روتها أسماء وروداً في كتب الأحاديث، وكما رأينا فالحديث برواياته يعطينا صورة متكاملة، ويوضح عدداً من الأمور: عن الكسوف ونظرةِ المسلم إليه، وعن ما يجب عليه أن يفعله عند حدوث هذه الآية، وعن كيفية صلاة الكسوف، وعن خطبة رسول الله ﷺ فيها، وعن ما أراه الله في ذلك المقام من فتنة القبر، والجنة والنار.

وسوف أحاول تلخيص ما ورد عن هذه الأمور وغيرها كما وردت في شروح كتب الحديث.

الكسوف: آية من آيات الله، وعلامة دالة على وحدانية الله وعظيم قدرته، وكذلك تدل على تخويف العباد من بأس الله وسطوته. يقولُ الله سبحانه وتعالى: ﴿**وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً**﴾ لذلك كان رسول الله ﷺ إذا رأى الكسوف قام مسرعاً فزعاً يجرُّ رداءَهُ من العجلة، ليصلي صلاة الكسوف.

والناس اليوم قد فتنوا بالتقدُّم العلمي حتى نسي الكثير منهم ناموس الله في الكون، ونسوا حكمته وقدرته وبديع صنعه فيما أودع من خفايا في هذا الكون، وفيما أنعم على الإنسان من عقلٍ وإرادة وحواس ليمكِّنه من الاستخلاف وعمارة الأرض، حتى ظنَّ الإنسان أنه بما أنعم الله عليه من اكتشاف ومعرفة لبعض ما في الكون، ظنَّ ـ جهلاً وغروراً ـ أنه امتلك ناصيةَ الكون، فراح يفخر ويتعاجب، ويدَّعي أنه سيد الكون ومبدع الأشياء، نستغفر الله من ذلك.

لهذا أصبح الناس ينظرون إلى الخسوف والكسوف نظرة عادية، فلا توقفهم الآية ولا تهزهم، وقالوا: لقد توصل العلم لمعرفة وقوع هذه الحادثة مسبقاً، وهي أمر طبيعي بسيط يقع بين الشمس والقمر والأرض.

يا سبحان الله، كيف يفكرون؟ ألم يسأل أحدهم نفسه: كيف دار هذا الكوكب العظيم وسط هذا الكون الهائل حتى صار بين الشمس والأرض؟

وكيف أحكمت هذه الدورة والسرعة حتى رأى الناس ما رأوا؟

وهل يستطيع أحد أن يتحكم في ذلك فيسارع أو يبطئ أو يمنع أو يدفع؟

إن الإنسان يراقب ويلاحظ ويستنتج، ولكن الهدى هو أن يسأل عن المسبِّب القادر، الذي يملك ويقدر.

لذلك فإن رسولَ الله ﷺ علَّمنا أن ندرك من هذه الآية سرَّ عظمة الخالق وقدرته ووحدانيته المهيمنة على هذا الكون.

وكان الناس في الجاهلية يعتقدون تأثير الكواكب في الأرض، وأن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض من موت أو ضرر، فأعلم النبي ﷺ أنه اعتقاد باطل، وأنَّ الشمسَ والقمرَ خَلْقان مُسخَّران لله، ليس لهما سلطانٌ في غيرهما، ولا قدرةٌ على الدفع عن أنفسهما.

ومن الأحاديث السابقة نرى أن هذه الآية الدالة على قدرة الله وعظمته جعلت الرسول ﷺ يُسرعُ من الشفقة على أمته وشدة الخوف من ربِّه، ويفزع إلى الصلاة.

وهذه الآية تذكِّرُ المسلمَ ـ والإنسانَ عامة ـ بالانقلاب الكوني العظيم الذي سيقع يوم القيامة، ولذلك فعليه سلوكُ الخوف من الله مع الرجاء، والمسارعة إلى الطاعة والالتجاء، وتذكر قدرة الله وضعف الإنسان.

والأحاديث تشير إلى صلاة الكسوف وصفتها ومشروعيتها وحكمها. ولقد رويت على أوجه كثيرة، وأجمع العلماء على أنها سنَّة، ومذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء أنّه يُسَنُّ

فِعْلُها جماعةً. واختلفوا في صفتها، والمشهور في مذهب الشافعي أنها ركعتان، في كل ركعة قيامان وقراءتان وركوعان، وأما السجود فسجدتان كغيرهما، وسواء تمادى الكسوف أم لا. وبهذا قال مالك واللَّيث وأحمد، وأبو ثور وجمهور علماء الحجاز وغيرهم. وقال الكوفيون: هما ركعتان كسائر النوافل.

واتفق العلماء على أنه يقرأ الفاتحة في القيام الأول من كل ركعة، واختلفوا في القيام الثاني. ومذهب الشافعية ومالك وجمهور أصحابه أنه لا تصح الصلاة إلا بقراءتها فيه، وقال محمد بن مَسْلَمَة من المالكية: لا يقرأ الفاتحة في القيام الثاني.

واتفقوا على أن القيام الثاني والركوع الثاني من الركعة الأولى أقصر من الأول منها من الثانية.

واختلفوا في القيام الأول، والركوع الأول من الثانية، هل هما أقصر من القيام الثاني والركوع الثاني من الركعة الأولى.

واتفقوا على استحباب إطالة القراءة والركوع فيهما كما جاءت الأحاديث، ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام وأدَّى إلى طمأنينته في كل ركوع صحت صلاته وفاته الفضيلة.

واختلفوا في استحباب إطالة السجود، فقال جمهور الشافعية: لا يطوله بل يقتصر على قَدْرِه في سائر الصلوات، وقال المحققون منهم: يُستحبّ إطالَتُهُ نحو الركوعَ الذي قبله.

ويقول في كل رَفْعٍ من ركوع: سمع الله لمن حمده، ثم يقول عقبه: ربنا لك الحمد، إلى آخره.

أما بشأن الخطبة فقد اختلف العلماء فيها، فقال الشافعي وإسحاق وابن جرير وفقهاء أصحاب الحديث: يستحب بعدها خطبتان. وقال مالك وأبو حنيفة: لا يستحب.

وفي الأحاديث ما يدل على أن الخطبة لا تفوت بالانجلاء، بخلاف الصلاة، وأنها تبتدئ بالحمد لله والثناء عليه.

وفي هذه الأحاديث حثّ على الطاعات كالذكر والدعاء، والصلاة والصدقة، وردع عن المعاصي التي هي من أسباب جلب البلاء.

وفي الأحاديث ما يشير إلى صلاة النساء مع الرجال في صلاة الكسوف. وعن الشافعي: يخرج الجميع إلا من كانت بارعة الجمال. وروي عن مالك أن الكسوف إنما يخاطب به من يخاطب بالجمعة، والمشهور عنه خلاف ذلك، وهو إلحاق المصلَّى في حقهن بحكم المسجد مع العلم بأن أسماء صلَّت في حجرة عائشة ـ رضي الله عنهما ـ ولكن بقية النساء كنَّ يصلين بعيدات عنها في المسجد.

وهكذا يتعلم المسلم من هذه الأحاديث عدداً من الأمور، ويعرف أن الشمس والقمر مخلوقات الله سبحانه، وأن القادر المهيمن الحكيم العليم، يقدر الأشياء، ويسيِّر الكون وفق سنَّةٍ ثابتةٍ، وناموس مستديم، والإنسان مخلوق ضعيف يأنس بهذه المخلوقات التي تزيده إيماناً كلما ازداد فيها تفكيراً وعلماً، وتزيده خشوعاً كلما رأى آية من هذه الآيات البادية عليها والتي تخالف ما ألفه منها.

لقد كانت آية الكسوف نقلةً بعيدة بالمسلمين، لأنها زادتهم

خوفاً وخشوعاً وتقرباً إلى الله، وجعلتهم يدركون أن قدرة الله لا حدَّ لها، وأن عجزهم لا قدرة فيه إلا بما أنعم الله عليهم، وجهلهم عام إلا بما تفضل به رب العالمين. فضلاً عن هذا فقد ذكَّره رسول الله ﷺ بالقبر وفتنته.

وهذا التذكير يوقظ إحساس المسلم، ويزيده خوفاً من رب العالمين، الذي لا ملجأ إلا إليه، وبذلك تزداد مراقبته، ويتوقد الإحساس بالرهبة.

إن التذكير بالموت والقبر يجعلنا أكثر اهتماماً وجدية في الحياة، ندرك قيمة الزمن الذي يمضي، فإذا مضت الساعة واليوم زدنا قرباً من القبر.

وصورة القبر تجعلنا نزهد بالحياة الدنيا، ومتاعها المغري وصورها الزاهية، لأن المصير إلى تلك الظلمة حيث لا قريب ولا أنيس، ولا مال ولا متاع، ولا سلطة ولا جاه.

هناك الوحشة والخوف، تنسلخ عن الإنسان دنياه وزينته، وتسرح في جسده الديدان...

وهناك يكون أول العذاب من السؤال والفتنة التي صوَّرها الرسول ﷺ قريباً من فتنة الدجَّال، ولا ينفع الإنسانَ حينها إلا رحمةُ ربِّه وعملُه الصّالح، وإيمانُه الصّادق.

والأحاديث تشير ـ أيضاً ـ إلى وعي المرأة المسلمة، واهتمامها بأمر دينها وآخرتها، وحرصها على فهم كل أمر من هذه الأمور، لذلك شاركت أسماء مع بقية النساء في الصلاة الطويلة حتى كادت أن تسقط إعياء.

هكذا تعدُّ المرأة نفسها، وهكذا كان دورها في المجتمع، تسير على نهج الطاعة ومرضاة الله عزّ وجلّ، والحرص على فهم كل أمر من أمور دينها وآخرتها ودنياها، ولا تستغرقها الصغائر والمغريات، ولا تضيع في المظاهر الخادعة.

وهكذا يلتئم البيت المسلم على صلاح ووعي، على طاعة ويقظة، على استقرار ومحبة في نهج واضح وشرع الله المستقيم.

* * *

ومما روته أسماء في هذا الباب، ما يتعلق بالعتاقة في كسوف الشمس.

حدثنا ربيع بن يحيى قال: حدثنا زائدة عن هشام عن فاطمة عن أسماء قالت: «لقد أقرّ النبي ﷺ بالعتاقة في كسوف الشمس».

أخرجه البخاري في كتاب «الكسوف»، باب: «من أحب العتاقة في كسوف الشمس».

ووردت أحاديث عن العتق في كتاب «العتق»، ومنها: عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «أمر النبي ﷺ بالعتاقة في كسوف الشمس» تابعه عليّ، عن الدَّراوردي عن هشام.

ومنها: حدثنا عثَّام حدثنا هشام عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر الصّدِّيق رضي الله عنهما قالت: كنا نؤمر عند الخسوف بالعتاقة.

وأخرجه أبو داود في «الصّلاة»، باب: «العتق فيها». وأخرجه

الحاكم ١/ ٣٣١، وأحمد ٦/ ٣٤٥، والبغوي (١١٤٧)، والدارمي ١/ ٣٦٠[١].

والعتق من أعظم القربات إلى الله عزّ وجلّ، يقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة: «**أيما رجل أعتق امرءاً مسلماً، استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه من النار**».

قال سعيد بن مَرْجانة: فانطلقت به إلى علي بن الحسين، فعمد علي بن الحسين رضي الله عنهما إلى عبد له قد أعطاه به عبد اللَّه بن جعفر عشرة آلاف درهم، أو ألف دينار، فأعتقه.

وفي حديث أسماء إشارة إلى ما يستحب من العتاقة عن رؤية هذه الآية من آيات الله وهي الكسوف.

والعتاقة من العِتق بكسر العين، وهي إزالة الملك. يقال: عتَقَ يعتِق عِتقاً بكسر أوله ويفتح، وعتاقاً، وعتاقة. وقال الأزهري: وهو مشتق من قولهم: عتق الفرس إذا سبق، وعتق الفرخ إذا طار، لأن الرقيق يتخلص بالعتق ويذهب حيث شاء[٢].

---

(١) صحيح ابن حبان ٧/ ١٠٠، رقم الحديث (٢٨٥٥).

(٢) «فتح الباري» ٥/ ١٤٦ ـ ١٥٠، باب «العتق».

حوض النبيّ ﷺ

حدثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ، عن نافع بنِ عمرَ قال: حدثني ابنُ أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالتْ:

قال النبيُّ ﷺ: «**إنِّي على الحوضِ حتى أنظُرَ مَنْ يَرِدُ علَيَّ منكم، وسيُؤْخَذُ ناسٌ دوني، فأقولُ: يا ربِّ منِّي ومِنْ أُمَّتي؟ فيُقالُ: هلْ شعرْتَ ما عَمِلُوا بعدَكَ؟ والله ما بَرِحوا يرجعونَ على أعقابهم**».

فكان ابن أبي مليكة يقولُ: اللهمَّ إنَّا نعوذُ بكَ أنْ نرجِعَ على أعقابِنا أو نُفْتَنَ عن ديـنِنا.

أخرجه البخاري في كتاب «الرقاق»، باب: «في الحوض»، وقوله تعالى: ﴿**إنَّا أعطيناك الكوثر**﴾، وفي «الفتن».

وأخرجه مسلم في كتاب «الفضائل»، باب: «إثبات الحوض لنبيِّنا محمد ﷺ وصفته».

ورد هذا الحديث عن البخاري ومسلم مع مجموعة من الأحاديث الأخرى عن الحوض بعد أحاديث الشفاعة، وبعد نصب الصراط، وبذلك يشير إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه، وللعلماء أقوال في ذلك يمكن الرجوع إليها. والحوض هو مجمع الماء، وهو الذي يصب فيه نهر الكوثر، وقد وردت أحاديث في ذلك.

عن أبي مليكة قال: قال عبد اللَّه بن عمرو: قال رسول الله ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء ماؤه أبيض من الوَرِق، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً**».

وورد أيضاً أنَّ من شرب من حوض رسول الله ﷺ لم يظمأ أبداً، لحديثه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدَاً**».

ولقد اشتهر اختصاص نبيِّنا ﷺ بالحوض، ولكن ابن أبي الدنيا أخرج حديثاً مرسلاً ولفظُه: «**إنَّ لكلِّ نبيٍّ حوضاً، وهو قائمٌ على حوضِهِ، بيدِه عصا، يدعو من عرَفَ مِنْ أُمَّتِهِ، إلاَّ أنَّهم يَتَباهُونَ أيُّهم أكثرُ تَبَعاً، وإنِّي لأرجو أنْ أكونَ أكثرَهُم تَبَعاً**»[1].

ومع ذلك فإن الكوثر من خصوصيَّات النبيِّ ﷺ، وأصبح من عقيدة أهل السنَّة والجماعة أن يعلم المسلم بأنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خصَّ النبيَّ محمداً ﷺ بالحوض المصرَّح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك مما صحَّ نقلُه واشتهرت رواته، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلمَّ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح، وأخرج مثله الترمذي، وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن سمرة موصولاً مرفوعاً مثله وفي سنده لين. وهناك حديث آخر بهذا المعنى ولكن الكوثر لم ينقل نظيره لغير رسول الله ﷺ.

جرًا، وأجمع على إثباته السَّلف وأهل السُّـنَّة من الخلق، والحديث الذي روته أسماء فهو التاسع عشر من مجموعة الأحاديث التي أخرجها البخاري في هذا الباب.

ويدل هذا الحديث أن هناك ناس يؤخذون ويُلقى بهم في جهنم بعد أن يراهم رسول الله ﷺ، وعندما يسأل عن ذلك يأتي الجواب: «**هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم**» أي إنَّهم ارتدُّوا ورجعوا على أعقابهم بمخالفتهم الأمر الذي تكون الفتنة بسببه. لذلك استعاذ ابن أبي مليكة من الرجوع على العقب أو الوقوع في الفتنة.

وأما ما جاء عقب الحديث: «**على أعقابكم تنكصون**»: ترجعون على العقب، فهو تفسير أبي عبيدة للآية، وزاد: نكص: رجع على عقبيه».

والحديث يشير إلى الخطر العظيم من النكوص عن أمر الله، باتخاذ المناهج الضالَّة، وأخذ القوانين الوضعية، والخضوع إلى حكم الطغاة والرضى به، وترك شريعة الله سبحانه وتعالى.

إنَّ المسلم هو الذي يؤمن بالله ورسوله ويؤمن بكل ما جاء من عند الله، ويلتزم بشرع الله في حياته حتى لا يتنكّب عن الطريق.

والجنة طريق صعب شاق، لا يصل إليها إلا المؤمنون الصّادقون «**حفّت الجنة بالمكاره**» ومن أحب الجنة، وأسلم لله فليعمل حتى يصل إلى الحوض، وتناله رحمة رب العالمين.

سِدْرة المُنتهى

أخرج ابن مردويه من طريق يحيى بن عباد بن عبد اللَّه بن الزبير عن أبيه عن جده عن أسماء بنت أبي بكر قالت:

سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يصف سدرة المنتهى فقالَ: «**فيها فِراشٌ مِنْ ذَهَبٍ، وثمرُها كالقِلالِ، وورقُها كآذانِ الفِيَلَةِ**».

فقلتُ: يا رسول الله، ما رأيتَ عندها؟ قال: «**رأيتُ عندها**» يعني ربَّهُ[1].

* * *

وأخرج الترمذي أيضاً:

حدثنا أبو كريب، أخبرنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبد اللَّه بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت:

سمعتُ رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى قال: «**يسير الراكبُ في ظلِّ الفَنَنِ منها مائةَ سنةٍ أو يستظِلُّ بظِلِّها مائةُ راكبٍ**» ـ شكَّ يحيى ـ «**فيها فراشُ الذَّهبِ كأنَّ ثمرَها القِلال**»[2].

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

---

(١) ورد هذا الحديث في «الخصائص الكبرى» للسيوطي ١/ ١٧٧.

(٢) هذا حديث حسن صحيح غريب.